خدمة المجتمع
من الإطار المدرسي

رائد عصام محسن*

عرف اللبنانيّون العمل الاجتماعي منذ القرن التاسع عشر الذي اقتصر على تأسيس دور الأيتام، والملاجىء، والمشافي للمعوّزين، والمرضى من قبل الرهبانيّة اللبنانيّة والجمعيّات الدينيّة المختلفة، والإرساليات الأجنبيّة التبشيريّة الأمريكيّة والفرنسيّة والانكليزيّة، والميسورين اللبنانيين، إلى أنْ برزت بعد منتصف القرن التاسع العاشر "جمعية المقاصد الإسلاميّة الخيريّة" التي تأسّست عام 1878، واستطاعت مع باقي الجمعيّات والمؤسّسات الخيريّة أنْ تقدّم خدمات اجتماعيّة وانمائيّة جليلة للمحتاجين منها، الهبات الماديّة، والرعاية الصحية، والتعليم، وتعلّم بعض الصناعات اليدوية البسيطة في مختلف المناطق اللبنانيّة[1].

ارتبط مفهوم خدمة المجتمع بطبيعة المجتمع اللبناني وتقاليده وعاداته الاجتماعيّة، ولم تغب عنها فكرة المعونة لدى العائلات اللبنانية خاصة في القرى، وكانت المبادرات التعاونيّة، فرديّة أو جماعيّة وظرفيّة متقطعة، لكن الحرب الأهليّة عام 1975 أثرت سلبًا في أنماط الحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة، وظهر التعصب الطائفي بين المواطنين، وأصبح الولاء للمناطق والمذاهب بدلًا من أنْ يكون للوطن أولًا، وبقي الواقع الاجتماعي والسياسي متأزمًا في البلد، ومر بمراحل صعبة أثرت بطريقة سلبيّة على الواقع التربوي الذي شهد آخر إعداد لمناهجه الدراسيّة عام 1997[2]، ممّا جعل المسؤولين السياسيين والتربويين يواجهون قضية وطنيّة وتربويّة مصيريّة في كيفيّة اعداد الأجيال اللبنانيّة لمستقبل جديد ومُشرق، لكي يكونوا مؤتمنين على الوطن، ومتمسكين بمفهوم العيش المشترك، ومؤمنين بنبذ الطائفيّة، إلى أنْ أصدر وزير التربية الأسبق حسان دياب القرار 4/م/2013 الذي يتعلق بتطبيق مشروع "خدمة المجتمع" لتلاميذ المرحلة الثانويّة، ثمَّ صدر القرار رقم 607/م/2016 في عهد وزير التربية السابق الياس بو صعب، القاضي بتحديد آليّات تطبيق هذا المشروع في الثانويّات اللبنانيّة الرسميّة والخاصّة، وشدّد على الزاميّته ليكون متممًا للمناهج الدراسية بمعدل 60 ساعة خدمة فعليّة خلال السنوات الثلاث من المرحلة الثانويّة، توزع 15 ساعة منها داخل المدرسة لإعداد العمل والمشاريع، و45 ساعة عمل في الخدمة الاجتماعيّة التطوعيّة خارجها.

شهد لبنان عندما تألفت حكومة الوفاق الوطني عام 2016، استقرارًا وتضامنًا جمع

معظم أحزابه وطوائفه بجهد رئيس البلاد، وبدأت وزارة التربية بمبادرة تأليف اللجان التربوية التي ستضع الخطط والاستراتيجيّات لإعداد مناهج دراسيّة جديدة تتلاءم مع متطلبات المجتمع اللبناني، ومع واقع التقدم التكنولوجي السريع الذي شهده العالم ويتأثر به لبنان، لتكون متوافقة مع تلبية حاجات سوق العمل الجديد، وليتحقق بها ترسيخ الأهداف التربوية التي لم تغب أساسًا عن مضامين مناهج 1997، التي جلّ اهتمامها التربية على المواطنة، وإعداد المتعلم اللبناني للمشاركة في الحياة العامة، متمسكًا بأرضه ووطنه أولًا، وأنْ يتمتع بروح المبادرة في العمل التعاوني الاجتماعي، ويؤمن بحرية المعتقد والتعبير والانفتاح على الآخرين.

بدأت خدمة المجتمع على شكل خدمة فرديّة، نابعة من نشاط اجتماعي تتطوع له مجموعة من الأفراد والمؤسّسات والجمعيّات الأهلية، بقصد مساعدة فئة من المواطنين المحتاجين في المجتمع، وللمدارس دور في توجيه المتعلمين لمساعدة الفقراء والضعفاء في المجتمع المحلي، يتم على سبيل المثال لا الحصر، جمع التبرعات الماديّة والوحدات الغذائيّة والألبسة، ليقدموها إلى المحتاجين والجمعيّات الخيريّة، وخاصة في فترة الأعياد الدينيّة، وتحثّ الإدارة المدرسيّة المتعلمين الشباب للمشاركة في الخدمة الاجتماعيّة من خلال التطوع في أنشطة الجمعيات الأهليّة المحليّة والفرق الكشفيّة المدرسيّة والمنظمات الدوليّة كمؤسّسة "الصليب الأحمر اللبناني" و"الدفاع المدني" وغيرها من المؤسّسات الإنسانيّة.

إنَّ خدمة المجتمع التطوعيّة كانت ولم تزلْ، نموذجًا للعطاء يقوم بها الأفراد والجماعات كمساعدة تقدم لأبناء المجتمع المحلي، وهي متقطعة وعشوائيّة، غير منظّمة، وقد تكون غير موجّهة، وهي غير ربحيّة، إلا أنَّ العديد من المدارس في مجتمعات الدول المتقدمة ومؤخرًا دول الخليج العربي، بدأت تُثمن خدمة المجتمع الالزاميّة، وتُعيرها أهميّة كبرى في أنظمتها التربويّة انطلاقًا من المناهج الدراسيّة وما تحمله من أهداف ومضامين وأنشطة تُسهم في تطوير المهارات الاجتماعيّة والعقليّة لدى المتعلمين، بهدف بناء الانسان والمجتمع معًا، كونها متمّمة للمناهج الدراسيّة، وموجهة من مشرفين تربويين من المدارس وتتم بإشراف وزارة التربية، تتميّز بأنها دائمة، متجدّدة ومتعدّدة المجالات وبحجتين تحملان بعدين،

- البعد الأول ضرورة مشاركة المتعلمين في الخدمة الاجتماعية لتعزيز العمل التضامني بين المواطنين.
- البعد الثاني مرتبط بتطبيق النظريات المعرفيّة التعليميّة، لتكون تعلميّة يكتشف فيها المتعلم واقع الحياة والإنسانيّة ويُمارس دوره في المجتمع بمسؤوليّة وحسّ وطني، ليشارك في التغيير وتنمية المجتمع وتطوّره.

نتناول في هذه المقالة، خدمة المجتمع التطوعيّة (Community Service) ومراحل تطورها لتصبح خدمة الزاميّة (Learning Service) أو (Community Engagement) متمّمة

للمناهج الدراسية، يقوم بها تلاميذ المدارس لتعزيز انتمائهم الوطني وترسيخ قيم المواطنة لديهم، وسنقوم بدراسة أهميتهما في المجتمع اللبناني من المنظور التربوي، وانطلاقًا من دور المدرسة في تعزيز القيم الاجتماعيّة والانسانيّة والوطنيّة لدى المتعلمين، ولتسليط الضوء على ما يقدّمه المتعلمون الشباب للوطن، انطلاقًا من مجالات يمكن العمل فيها لخدمة المجتمع المحلي، ولنبرز الدور الأساس للمدرسة ووظيفتها الاجتماعيّة بتكوين شخصيّة المواطن المزود بالعلوم المعرفيّة والتكنولوجيّة ومؤمنًا بقيمه الاجتماعيّة والوطنيّة.

أ- تاريخ خدمة المجتمع في لبنان

كانت خدمة الفرد في لبنان، مقتصرة على ما يقدّمهُ الأمراء للفقراء من مساعدات ماليّة، وكان بعض الأمراء يوقفون عقاراتهم لدى الرهبان لإقامة مدارس للطائفة تعبيرًا لثقتهم بهم، وهذا ما فعله أمراء أبي اللمع لبعض عقاراتهم، وكانت تقدم بعض الخدمات من الجمعيّات الدينيّة كإيواء الأطفال والأولاد والمشرّدين، وقبل سنتين من الحرب العالميّة الأولى، "أُنشأت أول فرقة كشفيّة في بيروت سمّيت بـ"الكشاف العثماني"، واستبدل اسمها إلى "الكشاف المسلم في لبنان" عام 1920 حيث قامت هذه الحركة بتنمية روح المواطنيّة الصالحة بين الشباب، وغرس روح الاهتمام بالآخرين، وتعزيز نموهم العقلي والجسدي والاجتماعي والروحي عن طريق إقامة المخيّمات الكشفيّة والنشاطات الرياضيّة والثقافيّة.

في تلك المرحلة، كانت الإرساليّات الأجنبيّة ممثلة بـ"جمعيّة الشبان والشابات المسيحيّة"، تقوم على تشجيع التجمعات الشبابيّة الدينيّة، وإقامة النشاطات الترفيهيّة والدينيّة والثقافيّة ومخيمات الشباب الصيفيّة، وبعدها كان دور للجمعيّات الدوليّة في العمل الجماعي، عندما تأسّست "جمعيّة الصليب الأحمر اللبناني" عام 1946، وتركزت أنشطتها على تنمية قدرات الجماعة عن طريق تدريب الناشئة في العمل التطوعي، وإعداد الممرضين والمسعفين، وكان لهم دور في إقامة حملات توعيّة صحيّة وتدريب مهني للفتيات اللبنانيّات، وبرزت فيما بعد "اليونيسف" عندما تأسّست عام 1951، وتعاملت مع الأمهات والأطفال من خلال برامج صحيّة وتثقيفية، ثمّ تأسّست عام 1954 "أندية الليونز"، وكانت تقوم بنشاطات جماعيّة لأعضائها وبعض الأنشطة الترفيهيّة للأطفال[3]، ولم يكن هناك أيّ دور رسمي في الرقابة على سير العمل فيها، وظل الوضع على ما هو عليه حتى العام 1958.

وبعد الأحداث الأمنيّة التي مرّت في لبنان عام 1958، "تمّ إنشاء مصلحة الإنعاش الاجتماعي عام 1959، وحتى تاريخ الحرب اللبنانيّة عام 1975، استطاعت المصلحة أنْ تؤسّس قاعدة للعمل الاجتماعي، وكان من اهتمَاماتها مساعدة الفرد ودمجه في المجتمع مع دراسة ظروفه البيئيّة والصحيّة والنفسيّة والاجتماعيّة، وبعدها كثرت الجمعيّات

والمؤسّسات الاجتماعيّة والإنسانيّة غير الحكوميّة، برز من تلك الفترة الناشط المونسنيور أنطوان قرطباوي والدكتور محمد خالد، ولم تزل مؤسّساتهم الاجتماعية تعمل حتى الآن، ونال الأطفال منذ تلك الفترة موضع اهتمام لدى التربويين والأخصائيين الاجتماعيين في مراقبة سلوك الطفل في صفوف الروضات في دور الحضانة والمدارس"[4].

وعلى الصعيد الرسمي، حقّقت الدولة اللبنانيّة مع بداية عهد الرئيس فؤاد شهاب (1958 - 1964) دورًا بارزًا في خدمة الجماعة، بعدَ أنْ كانت خدمة المجتمع قائمة على المعونات الفرديّة وتقديمات من الجمعيّات الأهليّة والدينيّة، فقد برزتْ نشاطات وزارة العمل بعد أنْ تحولت مهامها في الخدمة الاجتماعيّة إلى مصلحة الإنعاش الاجتماعي عام 1959[5]، والتي كانت تُقيم برامج اجتماعيّة من خلال مخيمات صيفيّة، وكان لها دور في تأسيس "المدرسة اللبنانيّة للتدريب الاجتماعي ومركز التدريب الاجتماعي" التابع لوزارة الشؤون الاجتماعيّة الذي يؤهل مرشدين اجتماعيين، ويدخل في برامجه العمل في خدمة الجماعات.

وإذا كانت خدمة المجتمع عملًا حضاريًا وإنسانيًا ووطنيًا تُمثّل التعاون والتضامن بين جميع المواطنين في المجتمع، تخفف من معاناة الأفراد المعوّزين والمرضى والعجزة والأرامل والأيتام، فالتاريخ يشهد أنَّ الخدمة الاجتماعيّة تطورت بمفهومها وواقعها في لبنان، لتصبح مهنة من مهمّات وزارة الشؤون الاجتماعية[6]، وبالتنسيق مع المنظمات الدوليّة الانسانيّة، ومسؤولة عن تلبية حاجات المواطن ومساعدته في الاستقرار الاجتماعي والشعور بالطمأنينة، وتذليل الصعوبات الحياتيّة التي تواجهه للتكيّف الاجتماعي الصحيح في وطنه.

واليوم، غدت الخدمة الاجتماعيّة في لبنان، مهنة منظّمة ومتخصّصة في الشؤون الاجتماعيّة، وتمكين المرأة ومساعدة المعوّزين والأيتام والمنحرفين، وذوي الاحتياجات الخاصّة، وحماية حقوق المرأة والطفل، ويتبيّن لنا مراحل تطوّرها لتصبح أعمّ وأشملَ من مجرد خدمة مجتمع، لذلك نهدف في هذه الدراسة أنْ نحصر كتابتنا حول مفهوم خدمة المجتمع، تاريخها وأهميتها، وإبراز جوانب الاختلاف بين الخدمة التطوعيّة وخدمة المجتمع الإلزاميّة، وما يمكن أنْ تقدّمه المدارس للمجتمع اللبناني من خلال دورها في اعداد المتعلم للتربية على المواطنة.

ب- خدمة المجتمع التطوعيّة

إنها خدمة يقوم بها الأفراد والجمعيّات الأهليّة بقصد مساعدة فئة من المواطنين المعوّزين والمهمّشين في المجتمع، تطورت الخدمة ونمت الجمعيّات التي تهتم بشؤونها، إنها عمل تطوّعي يقدم المساعدة بدون ربح أو أجر، ويعتبر عملًا انسانيًا من المجتمع وإليّه، نابع من مبادرات فرديّة أو جماعيّة تؤمن بالعمل التعاوني ومعزّزة بالقيم الانسانيّة والاجتماعيّة في مساعدة الآخرين ولديها حس المسؤوليّة تجاه الوطن وأبنائه.

إنَّ العمل التطوعي هو ركيزة من الركائز الضروريّة في بناء المجتمع والتماسك بين المواطنين، وبه يمكن الافادة من طاقات الشباب في خدمة المجتمع والمساهمة بتنميته، ويطال خيره كل الجماعات في المجتمع، من أطفال وشيوخ ونساء ومرضى ومهجرّين ومشرّدين ونازحين وفقراء ومهمشين وأيتام، وذوي الاحتياجات الخاصّة وكل المؤسّسات الأهليّة والدينيّة التي تُؤمن بقيم المواطنة والانسانيّة في الوطن.

تطوّر العمل الاجتماعي في لبنان وبرزَ دوره أيام الحرب اللبنانيّة في العام 1975، وانضّم الكثير من الشباب اللبناني إلى الفرق الاسعافيّة المحليّة والدوليّة، وتطوّع الكثير منهم في الجمعيّات الأهليّة والخيريّة التي تهتم في الخدمة الاجتماعيّة بكل مجالاتها، إلى أنْ نظِّمت هذه الخدمة، وأصبحت مهنة بوجود اختصاصيين اجتماعيين في المدارس والجامعات ووزارة الشؤون الاجتماعيّة، ونُظم عمل المتطوعين في الخدمة العامّة، وعام 2002 وافق مجلس الوزراء إلى تحويل اللجنة الوطنية المؤقتة للتطوع إلى لجنة وطنية دائمة، بهدف إقامة المخيّمات التطوعيّة للعمل الاجتماعي، ودمج الشباب اللبناني في العمل التعاوني والجماعي التطوعي، وتنسيق العمل مع الجمعيّات الأهليّة والتطوعيّة ومع البلديات لمساعدة وزارة الشؤون الاجتماعيّة في مشاريعها الاجتماعيّة والإنمائيّة في الوطن[7].

وعندما نتكلم عن الخدمة التطوعيّة في المجتمع، اللاربحيّة والموجهة تحديدًا من دور المدارس في لبنان، يتبيّن لنا إنها كانت ولم تزل، تُمارَس بطابع محلي وخاص تحت إشراف الإدارة المدرسيّة ومشاركة من المتعلمين في أنشطة متعدّدة، وكان لمدارس الإرساليّات الاجنبيّة والمدارس الخاصّة في الماضي في لبنان، دور فعّال في العمل الاجتماعي التطوعي مقارنة مع الدور الذي تقدّمه المدارس الرسميّة، في العديد من مجالاته الثقافيّة والإرشاديّة الصحيّة والبيئيّة والاجتماعيّة والوطنيّة والترفيهيّة للمواطنين، بهدف ترسيخ قيم المواطنة لدى تلاميذ المدارس، وتنمية مهاراتهم الاجتماعيّة وأساليب التعاون والتواصل مع الآخرين، إيمانًا بحبهم بالوطن وخدمةً لمجتمعهم المحلي.

إنَّ خدمة المجتمع التطوعيّة هي ركيزة أساسيّة في بناء شخصية المواطن اللبناني، وتحمله المسؤوليّة منذ صغره، تحثّه على العمل التعاوني، وأهميّة العيش المشترك مع أفراد مجتمعه، فتعزّز لديه التكافل والتضامن الاجتماعي، واحترام الآخرين باختلاف معتقداتهم وآرائهم.

وبعدما صدر عن وزارة التربية المرسوم رقم 8924 تاريخ 21 أيلول عام 2012، الذي تضمّن أهداف مشروع "خدمة المجتمع"، ولم تلتزم به إلا قلّة من المدارس، ثمَّ صدر قرار تطبيق المشروع من العام الدراسي 2016-2017، بعد دراسته من جديد عام 2015 من قبل لجنة محدّدة من وزير التربية آنذاك، ونصّ القرار

المذكور أنَّ كل من شارك خلال المرحلة الثانويّة بستين ساعة خدمة فعليّة، يحصل على إفادة "المواطن الفاعل في خدمة المجتمع" مرفقة مع شهادة البكالوريا الرسميّة عند تخرّجه"[8].

وهكذا يغدو التعليم في المدارس أداة لربط المناهج الدراسيّة بالحياة الفعليّة وأرض الواقع، وللإدارة والأهل دور أساسي في توجيه التلاميذ ودعم مشروعاتهم التي يقدمونها للوزارة وتحديدًا إلى وحدة خدمة المجتمع مع بداية كل سنة دراسيّة في المرحلة الثانويّة.

إنَّ خدمة المجتمع عند المتعلمين، كانت بمعظمها خدمات تطوعيّة، ولم تتوقف يومًا بالرغم من صدور قرارات الزاميّتها في التعليم الأكاديمي في لبنان.

ويذكر ميشال بدر من "المركز التربوي للبحوث والانماء"، أنَّ الأهداف العامّة للمناهج الصادرة في لبنان بالمرسوم رقم 10227 في العام 1997 نصت بمضمونها الآتي[9]، "تنمية شخصيّة اللبناني كفرد وكعضو صالح ومنتج في المجتمع، توعيته على المشاركة في العمل الاجتماعي كحق له، وواجب عليه تجاه مجتمعه ووطنه، تكوين شخصيته الفرديّة وتحقيق ذاته وتحمل مسؤوليّته، والالتزام الأخلاقي والتعامل مع الآخرين بروح المواطنيّة المسؤولة والمشاركة الإنسانيّة، وممارسة القيم والمبادىء الأخلاقيّة والوطنيّة، واحترام الفرد وترسيخ أسس العيش المشترك"، وبالتالي أتى القرار 607 م الصادر عام 2016، لاستكمال تحقيق الأهداف التربويّة بتحديد آليّات تطبيق مشروع "خدمة المجتمع" في المدارس الرسميّة والخاصّة للتعليم الأكاديمي العام، وليكرّس أهمية الخدمة المجتمعيّة لدى التلاميذ انطلاقًا من دور المدارس في توجيه ابنائها.

ج- خدمة المجتمع الإلزاميّة

هناك تعاريف عديدة لخدمة المجتمع الإلزاميّة، من أهمها: "أنَّها خطّة تعليميّة وتعلميّة تهدف إلى الاندماج والتكامل مع مفهوم خدمة المجتمع بالتوجيه وعملية التدريس، تُنمي المهارات الاجتماعيّة عند المتعلم، وتُعزز المسؤوليّة المدنيّة لديه والعمل بين الجماعات في المجتمع"[10].

تُعزز الخدمة الإلزاميّة، انخراط الشباب في المجتمع، وتُحقق غايات التعلّم للمتعلمين في المدارس، أخذت أهميّة كبرى في العديد من الدول المتقدّمة كالولايات المتحدة الأمريكيّة وبريطانيا واليابان والدانمارك، فتوجّه تلامذة المرحلة الثانويّة في هذه الدول إلى تنفيذ ساعات فعليّة في خدمة المجتمع لإتمام المناهج الدراسيّة، وبعد أنْ كانت خدمة المجتمع في لبنان تأخذ طابعًا غير منظّم ومتقطع في العديد من المدارس، تحوّلت إلى خدمة الزاميّة بمعدل ستين ساعة خدمة مجتمع فعليّة للمتعلمين في المرحلة الثانويّة في المدارس والثانويّات اللبنانيّة الرسميّة والخاصّة، وتقول الرئيس السابق للمركز التربوي للبحوث والإنماء ندى عويجان حول دور المدرسة، "إنها المؤسّسة التي يمكننا من خلالها تغيير السلوك الاجتماعي وإرساء

مبادئ وقواعد وقيم اجتماعيّة تُشكل قاعدة لتحقيق التغيير ونشره في المجتمع"[11].

وبعدَ أنْ شهدنا العديد من الحروب في لبنان التي أدّت إلى خلل في الحياة السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة، وزادت من التعصب الطائفي والتباعد بين المواطنين، توجه المسؤولون في وزارة التربية والتعليم العالي إلى وضع مشاريع تربويّة لدمج المواطن بصورة فعّالة في المجتمع، لتعزيز انتمائه الوطني وشعوره بالمسؤوليّة الشخصيّة في خدمة الوطن والمصلحة العامّة، بطرح مشروع خدمة المجتمع الإلزاميّة الموجّهة لتلامذة المدارس في المرحلة الثانوية في التعليم الأكاديمي العام.

وإذا كانت خدمة المجتمع التطوعيّة أو الإلزاميّة، تعتبر ركنًا أساسيًا لتعزيز المواطنة، فإنها من الإطار المدرسي وانطلاقًا من مجالاتها في الخدمة الاجتماعيّة والبيئة والصحة والرياضة والتُراث والفنون والثقافة والحقوق، تُعدّ عاملًا أساسيًا في التربية على المواطنة، التي تبدأ من دور المدرسة في بناء الاجيال وإعدادهم إعدادًا صالحًا لخدمة المجتمع المحلي والوطن.

لذلك، صدر مشروع "خدمة المجتمع"، ليؤكد إلزاميّة خدمة المجتمع للمتعلمين في التعليم الأكاديمي الرسمي والخاص في المرحلة الثانويّة، وتقتضي من كل متعلم، تنفيذ عشرين ساعة فعليّة في الخدمة الاجتماعيّة خارج المدرسة سنويًا وعلى مدى ثلاث سنوات في المرحلة الثانويّة، بمجالات متعدّدة منها ثقافيّة وبيئيّة وتراثيّة وسياحيّة وغيرها، وقد ورد أنّ كل متعلم قد شاركَ في مشروع "خدمة المجتمع"، يحصل على إفادة ناشط في خدمة المجتمع عند تخرجه وحصوله على شهادة البكالوريا الرسميّة[12].

واليوم، بات هذا المشروع ناجزًا، بعد أنْ استند على الأطر القانونيّة، وبدأت العديد من الثانويّات اللبنانيّة في العام الدراسي 2016–2017 بتطبيقه تبعًا لآليّة العمل المنصوص بها في العمل الإجرائي للمشروع وبكل الخطوات التي حدّدتها الوزارة، إلا أنّ البعض منهم لم يستطع الانضمام لهذا المشروع لظروف مختلفة ومرتبطة بكل مدرسة.

وفي تاريخ 10 تموز 2017، نشرت "جريدة الأخبار" مقالًا ورد فيه "أنّ "وحدة خدمة المجتمع" في وزارة التربية والتعليم العالي قد تسلمت 1115 مشروعًا خلال العام الدراسي 2016–2017، معظمها من المدارس الخاصّة وأنّ اللجنة قد اختارت ووافقت على تسعة مشاريع فقط"[13].

د– واقع خدمة المجتمع في لبنان

تُعَد خدمة المجتمع خطوة متقدّمة لتحسين الأوضاع الاجتماعيّة للأفراد المعوّزين، قد تكون الزاميّة ومنظّمة ومستمرة أو قد تكون خدمة تطوعيّة غير ربحية، عشوائية ومتقطعة.

تُسهم خدمة المجتمع في تعزيز مفهوم التربية على المواطنة، كونها ممارسة اجتماعيّة تضامنيّة تُضعف حدة الانقسامات التي شهدها الوطن سياسيًّا وطائفيًا، وتنمّي حسّ المسؤوليّة لدى الشباب الذين يملكون

رؤيةً مستقبليّة للنهوض بالوطن اجتماعيًا وثقافيًّا واقتصاديًّا، وبالتالي تعزز لديهم فرص التماسك الاجتماعي والعمل التعاوني لخدمة المصلحة الوطنيّة العامّة.

إنّ خدمة المجتمع التطوعيّة كانت ولم تزل حتى اليوم، تقدَّم من الأفراد إلى الأفراد أو لفئات معينة تنتمي إلى المجتمع، إنها نشاط اجتماعي تُشارك به المؤسّسات الاجتماعيّة الأهليّة والحكوميّة، وتُشارك بها المؤسّسات التربويّة بحكم وظيفتها الاجتماعيّة ودورها في إعداد المتعلم، فتهتم بدمجه بالمجتمع واكسابه تجارب حياتيّة وخبرات مختلفة، وتعدّه لمواجهة الصعوبات الحياتية، وتحمّله المسؤوليّة كمواطن يشارك في النهوض بمجتمعه واضعًا إمكاناته المعنويّة وتبرعاته الماديّة لمساعدة الآخرين، فيشارك في التنمية الاجتماعيّة والاقتصاديّة وتطور المجتمع.

التحقَ لبنان مؤخرًا مع الدول المتقدّمة بإدخال مشروع "خدمة المجتمع" في المناهج الدراسيّة في الثانويّات اللبنانيّة الرسميّة والخاصّة، لتتحول هذه الخدمة التطوعيّة إلى إلزاميّة بإشراف وزارة التربية والتعليم العالي، يُنفذها المتعلمون خارج المدرسة، وقُسّمت على شكل 20 ساعة في كل سنة دراسيّة من المرحلة الثانويّة وبمجموع 60 ساعة، على أنْ يتم تأمين 45 ساعة من خارج الدوام المدرسي كخدمة فعليّة، و15 ساعة للتخطيط واعداد المشاريع داخل المدرسة، ويشرف الأستاذ المنتدب من الإدارة، على مشروع التلاميذ، ويعمل على تقويمه، ثمّ يقدم تقريرًا عن المخطّط وفق نموذج يُذكر فيه اسم التلميذ أو أسماء التلاميذ المشاركين، ويحدّد اسم كل مشروع ومجاله والساعات التي ستنفذ لإنجازه.

وشرعَ العديد من التلاميذ في المدارس والثانويّات الرسميّة والخاصّة في لبنان، تطبيق المشروع منذ العام الدراسي 2016–2017.

هـ– مجالات خدمة المجتمع من الإطار المدرسي

تعدّدت مجالات "خدمة المجتمع" لتلاميذ المدارس في دول العالم وفي لبنان، ولم يعدْ دور المدرسة ينحصر في اغناء المتعلمين بالمعارف من دون استثمارها في الحياة الواقعيّة وتحقيق أهدافها الإجرائيّة العمليّة، بل تطوّر مع اتجاهات المدارس الحديثة في التخطيط لبرامج ومشاريع تطوعيّة وإلزاميّة، تُساعد على تكوين شخصيّة المتعلم، وتحقيق ذاته وكيفيّة تحمله المسؤوليّة تجاه وطنه ومجتمعه وأُسرته.

ونعرض واقع خدمة المجتمع في المدارس اللبنانيّة والأجنبيّة على الشكل الآتي:

شرع العديد من المدارس الرسميّة والخاصّة في لبنان بالانفتاح على بيئتها الاجتماعيّة المحيطة من خلال العمل التعاوني كجمع التبرعات الماديّة للمؤسّسات الخيريّة، وتقديم المساعدات الغذائيّة والماليّة لمراكز الأيتام والعجزة والمعوزين، وحثّ المتعلمين للمشاركة في عملية فرز النفايات الورقيّة والبلاستيكيّة والمعدنيّة لإعادة تدويرها لاحقًا، وغيرها من النشاطات الهادفة في المجتمع، علمًا أنّ معظم

المدارس الرهبانيّة والمدارس التابعة للإرساليّات الأجنبيّة لم تتوقف يومًا منذ تاريخ الاستقلال اللبناني وما قبل، في اعداد برامج اجتماعيّة تطوعيّة يقوم بها المتعلمون والفرق الكشفيّة لمساعدة المحتاجين في المدن والقرى اللبنانيّة.

وبعد أنْ صدرت عام 2016 قرارات وزارة التربية والتعليم العالي، التي تُحدّد آليّة تطبيق مشروع "خدمة المجتمع" لتلاميذ التعليم الأكاديمي العام في الثانويّات الرسميّة والخاصّة، نرى أنَّ المتعلم اللبناني غدا يؤمن بأهميّة وجوده في المجتمع كشخص فاعل، له دور يُشارك به في المجتمع المدني ولديه من القدرات والطاقات التي يستطيع أنْ يُساعد بها في أي مجال يرغبه من مجالات الخدمة الاجتماعيّة التطوعيّة، وبالتالي يُسهم تطوّعه في تحسين المستوى الاجتماعي والنفسي والاقتصادي والبيئي والصحي للمواطنين، وخاصّة لدى الفئات المحتاجة والمهمّشة، وقد يُساعد تطوّعه في الخدمة الموجّهة مع الجمعيات الخيريّة الأهليّة والحكوميّة والمنظّمات الدوليّة الإنسانيّة لتحقيق الرفاه المعيشي للمواطنين من أبناء المجتمع المحلي وإظهار صور التقدّم الحضاري في الوطن.

وفي هذا السياق، نتناول دور الإدارة المدرسيّة في توجيه المتعلمين إلى خدمة المجتمع المحلي من مجالات متعدّدة، بشكل تطوعيّ أو إلزامي متمّم للمناهج الدراسيّة، ويتلاءم مع الرؤية التربويّة والأهداف العامّة الصادرة عن وزارة التربية والتعليم العالي في مضامين المراسيم والقرارات خاصّة التي شملت المناهج الدراسيّة اللبنانيّة عام 1997.

وبعد اصدار المديريّة العامّة للتربيّة بالتعاون مع "المركز التربوي للبحوث والانماء" دليل مشروع "خدمة المجتمع" بطبعته الأولى عام 2016، يمكننا أنْ نُعدّد مجالات الخدمة الفعليّة للمتعلمين في المدارس والثانويات الرسميّة والخاصّة في التعليم الأكاديمي العام، التي تهدف إلى تعزيز روح المواطنة لدى الشباب اللبناني، وتنمية قدراتهم المعرفيّة والنفسيّة ومهاراتهم الاجتماعيّة، وإرساء قيم وطنية واجتماعيّة لديّهم مرتكزة على قواعد وثوابت صلبة تهدف لتعزيز مفاهيم العيش المشترك، ونبذ العنف والتعصب والطائفيّة والولاء أولا للبنان الواحد، فحدّدت تسعة مجالات يمكن العمل بها، بتطوع مجموعات من التلاميذ في اختيار موضوع في مجال معين، والعمل به تحت إشراف الأستاذ المسؤول والمنتدب من الإدارة المدرسيّة التي ينتمون لها، مع تحديد مدّة عشرين ساعة خدمة فعليّة سنويًا خارج المدرسة على مدى ثلاث سنوات من مرحلة التعليم الثانوي، ووردت المجالات في الدليل كالآتي[14]:

- **المجال الاجتماعي والاقتصادي**

يسعى المتعلمون في المجال الاجتماعي إلى التطوع في مساعدة الفئات المهمشة في المجتمع، فهم قادرون على المشاركة في مجالات الخدمة الاجتماعيّة، كالاهتمام بالمسنّين والمرضى وحماية الأطفال اليتامى وأطفال الشوارع والمشردين والفقراء ومساعدة ذوي الاحتياجات الخاصّة بمشاريع

متخصّصة لهم، والمساعدة في تأهيل السجون ومراكز الأحداث وتمكين المرأة وغيرها من الأمثلة في الخدمة الاجتماعيّة.

ويستطيع المتطوعون في الخدمة، إقامة معارض لبيع الصناعات اليدويّة الصغيرة والمزخرفة والمشاركة على سبيل المثال لا الحصر، في صناعة الصابون والشمع والمنتوجات الغذائيّة البلديّة، ويشاركون في بيع المنتوجات الوطنيّة الصغيرة، وقد يُساهمون في قطاف الفواكه ومواسم الزيتون، أو يُساعدون في تسويق المنتوجات الزراعيّة للفلاحين وغيرها من الأمثلة التي تخدم المجتمع المحلي اقتصاديًا.

- **المجال المدني والحقوقي**

يهدف هذا المجال إلى وعي المتعلم والمواطن اللبناني بحقوقه وواجباته تجاه الدولة، ليؤمن بالديموقراطيّة ويحترم حقوق الإنسان والمرأة والطفل، ويؤمن بحرية المعتقد والتعبير، والعيش المشترك، ويعتز بوطنه وهويّته ولغته، ويُحافظ على تراثه، ويحترم رموزه الوطنيّة، ويمارس دوره في تحقيق العدالة الاجتماعيّة.

- **المجال البيئي**

يسعى التلميذ في هذا المجال، إلى حماية البيئة من تلوث الهواء والتربية والمياه، ويساعد في عمليات فرز النفايات البلاستيكيّة والصلبة المعدنيّة والأوراق، يُشارك بحملات التشجير في الأحراج والمدينة، ويُساهم في العناية بالحدائق، ويساعد في تجميل الشوارع والشواطئ ونظافتها، ويحافظ على خصوصيّة المحميّات البيئيّة، وينضم في حملات التوعية البيئيّة مع الجمعيّات والأنديّة الأهليّة والفرق الكشفيّة.

- **المجال الصحي**

يهدف هذا المجال إلى رفع مستوى الصحّة العامّة لأفراد المجتمع، من خلال اعداد الدورات التثقيفيّة في الصحة العامّة والصحة الغذائيّة والنفسيّة، وحملات التبرع بالدم، والوقاية من الأوبئة والأمراض، يُشارك بها المتعلمون من خلال الندوات والمحاضرات وورش العمل للتوعية على آفات المجتمع، كالتدخين والمخدرات ومعايير السلامة المروريّة للمواطن وغيرها.

- **المجال التربوي**

يُسهم هذا المجال في تطوع المتعلم لخدمة المجتمع من المجال التربوي، كتنظيم دورات تدريبيّة مجانيّة للمتعلمين في المدارس، حول كيفيّة إدارة الوقت، واعداد محاضرات في التوعية على معالجة التوتر النفسي قبل الامتحانات، وقد يكون التطوّع في مساعدة الإدارة المدرسيّة في مجال العمل بالمكتبات، أو في مكتبة البلدية المركزيّة في حال توافرها، وقد يستطيع المتعلمون توزيع قرطاسيّة مجانيّة للتلاميذ الصغار في المدارس الرسميّة، وبإمكانهم تنظيم وإعداد دورات تقوية مجانيّة في اللغات والمواد العلميّة، يُساهم بها مجموعة من الأساتذة لمساعدة المتعلمين ضمن نطاق بيئة المدرسة الاجتماعيّة.

- **المجال الرياضي**

يشمل هذا المجال أهدافًا اجتماعيَّة من خلال النشاطات والدورات الرياضيّة على الصعيد المحلي والوطني والدولي، وتُسهم

الدورات الرياضيّة بمختلف أنواع الرياضة التي يعشقها اللبنانيون، إلى تعزيز الانتماء الوطني والعيش المشترك بين الطوائف والمناطق اللبنانيّة، وبالتالي يتمتع الشباب اللبناني والمتعلمين في المدارس، بالروح الرياضيّة والتسامح عندما تواجههم أيّ صعوبات في التواصل أو التعامل مع الآخرين.

- **المجال الثقافي والتراثي**

يَهدف هذا المجال إلى مساهمة التلاميذ في النشاطات الثقافيّة، كإقامة محاضرات حول السلامة المروريّة ومعايير النظافة والصحّة العامّة وفي التوعية على الصحّة المدرسيّة والغذائيّة، والبيئة ونظافة الشاطئ اللبناني والمياه الجوفيّة، وكيفيّة الحفاظ على الموارد الطبيعيّة والمحميّات، وندوات حول مخاطر التدخين وخطر المخدرات، واحياء التراث اللبناني الأصيل ونقله من جيل إلى جيل كإعداد لقاءات تتناول الشعر العربي واللبناني، ودراسة تاريخ معالم الإرث الوطني والأماكن الأثريّة في لبنان ووسائل المحافظة عليها، والمشاركة بندوات تتناول تاريخ الاستقلال لبنان وشهداء الاستقلال والحضارات التي شهدتها أراضيه منذ القدم.

- **المجال الفني**

يُسهم هذا المجال في نشر الفنون الراقية بأنواعها وتشجيع المتعلمين في المدارس إلى التطوع في خدمة المجتمع، بإقامة مهرجانات فنيّة ترفيهيّة ووطنيّة، وحفلات موسيقيّة وغنائيّة وزجليّة في المدرسة أو خارجها، واحياء الفولكلور اللبناني[15] بكل ما يندرج تحت هذا المصطلح من ظواهر روحيّة واجتماعيّة وثقافيّة تَظهر بها صورة حقيقيّة عن واقع القرى اللبنانية حضارتها، وقد يُسهم التطوع في المجال الفني بإحياء للفن اللبناني الأصيل والأغاني اللبنانيّة الشعبية والتراثيّة، والتعرف على الشخصيّات الفنيّة من قدماء الشعراء والموسيقيّين والفنانين اللبنانيين الذين عايشوا تاريخ تأسيس الدولة اللبنانيّة ومرحلة استقلال لبنان، على أنْ يعود ريّع مجمل هذه الحفلات والمهرجانات لمساعدة المعوّزين والجمعيّات الخيريّة في لبنان، وهناك أمثلة أُخرى... الخ.

- **المجال السياحي**

يَهدف هذا المجال إلى إبراز المعالم السياحيّة والأماكن التاريخيّة في لبنان، وتعزيز السياحة الدينيّة والقرويّة، وزيارة المحميّات الطبيعيّة البيئيّة والمحميّات في الجزر للمتعلمين في المدارس، وإعداد الزيارات للمتاحف الوطنيّة، ومعرفة الدور الرسمي الذي تقوم به وزارة السياحة اللبنانيّة، والتعرف على أهمية دور المغتربين في إبراز الصورة الحقيقيّة عن الحياة الاجتماعيّة في لبنان، وجمال طبيعته ومناخه.

و- الخلاصة

تُشكل المدرسة البيئة التربويّة والاجتماعيّة المناسبة والحاضنة لإطلاق المتعلمين مشاريع العمل التطوعي في الخدمة المجتمعيّة، تُنمي لديهم الحسّ المدني والوطني، وتعزز مفاهيم العيش المشترك والمواطنة في بلد يحتضن 18 طائفة من طوائف الديانات السماويّة، يتميّز

بتعدّدية ثقافيّة تُغني مجتمعه، ووحدة ابنائه الوطنيّة تُشكل الضمانة والأمان لاستقراره.

دخل مشروع "خدمة المجتمع" كل بيت من البيوت اللبنانيّة، وهدف إلى تقليص حدّة الانتماءات الدينيّة والحزبيّة بين المواطنين، وأثبتت "المديريّة العامّة للتربية في لبنان" بالتعاون مع "المركز التربوي للبحوث والانماء" أنّ اصدار هكذا مشروع تربوي ووطني جامع، بالتوازي مع الخدمة التطوعيّة التي تقوم بها المدارس والمؤسّسات الأهليّة والحكوميّة في المجتمع، أنّ لبنان قادر أنْ ينهض بشبابه نحو التغيير والحداثة والمواطنة الفاعلة، انطلاقًا من منظومته التربوية وبمشاركة كل مكوّنات المجتمع اللبناني وفئاته على أنواعها، كيف لا، وأنّ طلائع الفرق الكشفيّة العربيّة قد انطلقت من لبنان[16]، وأنّ رواد العمل التطوعي في مجالات التعليم والطبابة والمساعدة الاجتماعيّة وحماية المرضى والضعفاء، قد انطلقت منذ أكثر من قرن من مبادرات الإرساليّات الأجنبيّة والجمعيّات الدينيّة اللبنانيّة، عندما كان اللبنانيون مؤمنين بمفاهيم التضامن والتكافل، وكانت المعونة من أبرز قيم الروابط الاجتماعيّة والإنسانيّة لدى العائلات في المدن والقرى اللبنانيّة.

واليوم تسعى وزارة التربية والتعليم العالي استكمال مسيرتها في تطوير المناهج الدراسيّة لتتلاءم مع واقع حاجات سوق العمل، الذي يعتمد على اختصاصات عصريّة جديدة، كتقنيّة المعلومات والصناعات الرقميّة والذكاء الصناعي والخدمات المصرفيّة والتجاريّة والسياحيّة على الشبكات الالكترونيّة، في وقت يعيش لبنان مرحلة من الاستقرار السياسي والأمني، تخلق مناخًا إيجابيًّا يُساعد على تعزيز دور المدارس في تحقيق الأهداف التربويّة العامّة مع استثمارها في الواقع الحياتي الذي نعيش، بدايةً من التربية على المواطنة وكيفيّة إعداد المتعلم، على مفهوم الخدمة الإلزاميّة التي نكوّن بها شخصيّته، ليُفيد الأفراد المعوّزين والمهمشين من خبراته وطاقاته واندفاعه، فيرتقي الوطن بإنسانيّة مواطنيّه وحضارة مجتمعه، وتُصقّل مهارات المتعلمين الاجتماعيّة، ليصبحوا منتجين من مواقعهم الوظيفيّة، ومساهمين في تنمية المجتمع وتطوّره.

ونأمل أنْ تصدر قرارات رسميّة لاحقة، مُماثلة ومُكمّلة، تلحظ طلاب المدارس والمعاهد المهنيّة والتقنيّة والزراعيّة في لبنان بالقطاعين الرسمي والخاص، لإشراكهم بمجالات تطوعيّة في الخدمة المجتمعيّة، ومتمّمة للمناهج الدراسيّة أسوةً بزملائهم في التعليم الثانوي العام.

***

الهوامش:

* - **يُعد أطروحة دكتوراه في التربية، كلية التربية – جامعة القديس يوسف في بيروت**

1- نعمت كنعان، **الخدمة الاجتماعية في لبنان**

2- وزارة التربية والتعليم العالي، **تحديد مناهج التعليم العام ما قبل الجامعي في لبنان**، المرسوم رقم 10227، تاريخ 1997/05/08.

3- هدى عبد الباقي، **خدمة الجماعة**.

4- نعمت كنعان، **العمل الاجتماعي في لبنان**.

5- هدى عبد الباقي، **خدمة الجماعة**.

[6]– أنشئت وزارة الشؤون الاجتماعيّة في لبنان عام 1993، وانفصلت عن وزارة الصحة بالقانون 93/212.

[7]– نعمت كنعان، **العمل الاجتماعي في لبنان**، ص 175

[8]– المركز التربوي للبحوث والإنماء، **دليل مشروع خدمة المجتمع**، المادة 15.

[9]– ميشال بدر، **المجلة التربوية**، المركز التربوي للبحوث والإنماء، العدد 54، حزيران 2013.

[10]– جامعة فاندربلت، **تعريف خدمة المجتمع الإلزاميّة.**
https://cft.vanderbilt.edu/guides-subpages/teaching-through-community-engagement/
تاريخ الدخول: 19 أيلول 2017

[11]– وزارة التربية، **دليل مشروع "خدمة المجتمع"**، القرار 607م 2016، المادة 15، المركز التربوي للبحوث والإنماء.

[12]– وزارة التربية، **دليل مشروع "خدمة المجتمع"**، القرار 607م 2016، المادة 15، المركز التربوي للبحوث والإنماء.

[13]– فاتن الحاج، **خدمة المجتمع: نحو تربية سلوكية لا تلقينيّة**، جريدة الأخبار، العدد 3220، الإثنين 10 تموز 2017- تاريخ الدخول: 19 أيلول 2017
http://www.al-akhbar.com/node/279913

[14]– المركز التربوي للبحوث والإنماء، **دليل مشروع خدمة المجتمع.**

[15]– الفولكلور: هو مجموعة عادات ومعتقدات وخرافات وأساليب العيش القروي. أنيس فريحة، **"القرية اللبنانية: حضارة في طريق الزوال"**. تاريخ الدخول: 2018/5/2
www.lebanonism.wordpress.com

[16]– أسّس عبد الجبار خيرّي الحركة الكشفيّة الأولى في لبنان عام 1904م، وعُرفت باسم "الكشاف العثماني"، بعد أنْ سافر إلى المملكة المتحدة واسترعت انتباهه نشأة الحركة الكشفيّة من مؤسّسها بادون باول، وقد كانت أول فرقة كشفيّة في الدول العربيّة، توقف نشاطها أثناء الحرب العالميّة الأولى، ثمَّ أُعيد تجديدها عام 1920م باسم نواة الكشاف السوري، واتخذت مقرًا لها "جمعية المقاصد الخيريّة الإسلاميّة في بيروت"، وعام 1921م عمّت الحركة الكشفيّة في كل المدن اللبنانيّة، وعام 1928م انفصلت كشافة سوريا عنها، وفي العام 1943 أُعيدت تسمية الفرق الكشفيّة في الأراضي اللبنانية تحت اسم "اتحاد كشاف لبنان" الذي حصل على اعتراف رسمي عام 1943 وعلى اعتراف عالمي عام 1947.

***

– قائمة المصادر والمراجع:

– (بدر) ميشال، المجلة التربوية، خدمة المجتمع: مشاركة وانتمائه، المركز التربوي للبحوث والإنماء، العدد 54، حزيران 2013.

– (عبد الباقي) هدى، خدمة الجماعة، بيروت، مؤسسة بحسون للنشر والتوزيع، 1996.

– (كنعان) نعمت، الخدمة الاجتماعية في لبنان، بيروت، منشورات مركز التدريب الاجتماعي، 1980.

– (كنعان) نعمت، العمل الاجتماعي في لبنان، بيروت، مطبعة رعيدي، 2008 .

– وزارة التربية والتعليم العالي، تحديد مناهج التعليم العام ما قبل الجامعي في لبنان، المرسوم رقم 10227، تاريخ 1997/05/08.

– وزارة التربية والتعليم العالي، دليل مشروع "خدمة المجتمع"، القرار 607/م/2016، المادة 15، المركز التربوي للبحوث والإنماء.

*** مواقع شبكة المعلومات العالميّة (الإنترنت)**

– جامعة فاندربلت، Vanderbilt University، تعريف خدمة المجتمع الإلزاميّة. تاريخ الدخول: 2017/9/18.
https://cft.vanderbilt.edu/guides-sub-pages/teaching-through-community-engagement/

– جامعة المستنصريّة الحكوميّة، تاريخ الحركة الكشفيّة، بغداد، العراق.

– فاتن الحاج، خدمة المجتمع: نحو تربية سلوكية لا تلقينيّة، جريدة الأخبار، العدد 3220، الإثنين 10 تموز 2017. تاريخ الدخول 19 /2017/9.
http://www.al-akhbar.com/node/279913

– أنيس فريحة، "القرية اللبنانية: حضارة في طريق الزوال". تاريخ الدخول: 2018/5/2.
www.lebanonism.wordpress.com
https://uomustansiriyah.edu.iq/media/lectures/12/12_2017_03_15!11_38_40_PM.docx
تاريخ الدخول 2018/5/6.

***